

إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَوْعِدٌ

[من الطويل]

يرثي النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني :

دعَاكَ الهَوَى، وَأَسْتَجْهَلْتُكَ الْمَنَازِلُ

وَكَيْفَ تَصَابِي الْمَرْءَ، وَالشَّيْبُ شَامِلٌ؟^(١)

وَقَفْتُ بِرَنْعِ الدَّارِ، قَدْ غَيَّرَ الْبَلَى

مَعَارِفَهَا، وَالسَّارِيَاتُ الْهَوَاطِلُ^(٢)

أَسَائِلُ عَنْ سُعْدَى، وَقَدْ مَرَّ بَعْدَنَا

عَلَى عَرَصَاتِ الدَّارِ، سَبْعُ كَوَامِلُ^(٣)

فَسَلَيْتُ مَا عِنْدِي بِرَوْحَةِ عِرْمِيسَ

تَخُبُّ بِرَحْلِي، تَارَةً، وَتُنَاقِلُ^(٤)

(١) المعنى، أن منازل الأحباب قد حركت فيك ما كان ساكناً، وذكرتك أيام الصبا والجهل، ثم يستدرك فيلوم نفسه على التصابي بعد المشيب.

(٢) البلى: ما يصيب الشيء فيصبح رثاً بالياً. المعارف: المعالم. الساريات: السحب تمر ليلاً. الهوطل: الغزيرة المطر.

(٣) عرصات: ساحات. سبع كوامل: أي سبع سنوات تامة.

(٤) العرْمِيس: الصخرة، وهي هنا كناية عن الناقة الشديدة الصلبة كالصخرة. تخب: من الخبب، وهو ضرب من العدو، أي المراوحة بين يدي ورجلي الفرس أو الناقة. تُناقِل: من المناقلة، أي وضع الرجل مكان اليد في العدو.

- مُوثَقَةُ الْأَنْسَاءِ، مَضْبُورَةُ الْقَرَا
 نَعُوبٍ، إِذَا كَلَّ الْعِتَاقُ الْمَرَايِلُ^(١)
 كَأَنِّي شَدَدْتُ الرَّحْلَ حِينَ تَشَدَّرْتُ
 عَلَى قَارِحٍ، مِمَّا تَضَمَّنَ عَاقِلُ^(٢)
 أَقْبَ، كَعَقْدِ الْأَنْدَرِيِّ، مُسَحَّجٍ
 حُزَابِيَّةٍ، قَدْ كَدَّمَتْهُ الْمَسَاحِلُ^(٣)
 أَضَرَّ بِجَرْدَاءِ التُّسَالَةِ، سَمَحَجٍ
 يُقَلِّبُهَا، إِذْ أَعَوَزَتْهُ الْحَلَائِلُ^(٤)
 إِذَا جَاهَدَتْهُ الشَّدَّ جَدًّا، وَإِنْ وَنَتْ
 تَسَاقَطَ لَا وَا، وَلَا مُتَخَاذِلُ^(٥)

- (١) الأنساء: مفردها النساء، وهي عرق من الورك إلى الكعب. مضبورة: مجموعة وموثقة. القرا: الظهر. النعوب: السريعة. كل: تعب. العتاق: النياق الكريمة. المراسل: السريعة.
- (٢) تشدّرت: أسرع. القارح: الذي شقّ نابه وطلع وهو هنا كناية عن الحمار الوحشي. عاقل: اسم موضع أو جبل.
- (٣) الأقب: الضامر البطن. الأندري: المنسوب إلى بلدة في بلاد الشام. المسحج: المعصض. حزابية: غليظ. كدّمته: عضضته. المساحل: مفردها مسحل، وهو القوي الشجاع، والمقصود هنا الحمار الوحشي.
- (٤) جرداء التّسالة: هي التي تناسل وتساقط شعرها. السّمحج: الطويلة الظهر. أعوزته: أعجزته. والحلائل: مفردها حليلة، وهي بمعنى الشريكة.
- (٥) الشّد: بمعنى العدو. جدّ: أي كدّ ونشط. ونّت: ضعفت أو فترت. المتخاذل: الذي يخذل بعضه بعضاً.

- وإن هَبَطَا سَهْلًا أَثَارَا عَجَاجَةً
 وإن عَلَوَا حَزْنًا تَشَطَّتْ جَنَادِلُ^(١)
 وَرَبِّ بَنِي الْبَرَشَاءِ: دُهِلَ وَقِيسُهَا
 وَشَيْبَانٌ، حَيْثُ اسْتَبْهَلَتْهَا الْمَنَازِلُ^(٢)
 لَقَدْ عَالَنِي مَا سَرَّهَا، وَتَقَطَّعَتْ
 لِرَوَعَاتِهَا، مَنِي الْقُوَى وَالْوَسَائِلُ^(٣)
 فَلَا يَهْنِي الْأَعْدَاءُ مَصْرَعُ مَلِكِهِمْ
 وَمَا عَتَقَتْ مِنْهُ تَمِيمٌ وَوَائِلُ^(٤)
 وَكَانَتْ لَهُمْ رُبْعِيَّةٌ يَحْذَرُونَهَا
 إِذَا خَضَخَضَتْ مَاءَ السَّمَاءِ الْقِبَائِلُ^(٥)
 يَسِيرُ بِهَا التَّعَمَانُ تَغْلِي قُدُورُهُ
 تَجِيشُ بِأَسْبَابِ الْمَنَايَا الْمَرَاجِلُ^(٦)

(١) أثارا عجاجه: حركا الغبار. الحزن: ما غلظ وارتفع من الأرض. تشطت: تكسرت كالشظايا. الجنادل: الحجارة.

(٢) البرشاء: أي أم دهل وقيس وشيبان. استبهلتها: أخرجتها، وتركتها.

(٣) عالني: شق علي. ما سرها: أي ما سر أعداء النعمان من موته. ويريد القول: لقد شق علي ما سر بني البرشاء من حادث منية النعمان حيث انقطعت قوتي وذهبت أسباب مودتي.

(٤) المعنى، لا يهنا الأعداء من موت ملكهم، ونجاتهم منه. عتقت: نجت.

(٥) ربعية: كناية عن الغزوة أيام الربيع. خضخضت: حركت الماء.

(٦) تجيش: تغلي. المنايا: مفردها منية، أي الموت. المراحل: مفردها مرّجل وهو القدر.

- يَحُثُّ الْحُدَاةَ، جَالِزاً بَرْدَائِهِ
 يَبْقِي حَاجِبِيهِ مَا تُثِيرُ الْقَنَابِلُ^(١)
 يَقُولُ رَجَالٌ، يُنْكِرُونَ خَلِيقَتِي:
 لَعَلَّ زِيَاداً، لَا أَبَالَكَ، غَافِلُ^(٢)
 أَبَى غَفْلَتِي أَنِّي، إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ
 تَحَرَّكَ دَاءً، فِي فَوَادِي، دَاخِلُ^(٣)
 وَأَنْ تِلَادِي، إِنْ ذَكَرْتُ، وَشَكَّتِي
 وَمُهْرِي، وَمَا ضَمَّتْ لَدَيَّ الْأَنَامِلُ^(٤)
 حِبَاؤُكَ، وَالْعَيْسُ الْعِتَاقُ كَأَنَّهَا
 هِجَانُ الْمَهَا، تُحْدِي عَلَيْهَا الرِّحَائِلُ^(٥)
 فَإِنْ تَكَ قَدْ وَدَّعْتَ، غَيْرَ مُذَمَّمٍ
 أَوَاسِي مَلِكٍ ثَبَّتَتْهَا الْأَوَائِلُ^(٦)

- (١) بحث: يحفز. الحداة: مفردا حادي، وهو الذي يقود الإبل ويغني لها لتنشط في السير. الجالز: الذي يضع العمامة على رأسه ويتعصب بها. يقي: يحمي ويدافع. القنابل: جماعة الناس أو الخيل.
- (٢) زياد: هو اسم النابغة زياد بن معاوية الذبياني. غافل: أي غافل عن الأمر أو تاركه.
- (٣) يقول استكمالاً للبيت السابق: إنه لن يغفل لأن للنعمان الأيادي البيضاء عليه ما يجعله دائماً في الذاكرة ولا يُغفل عنه.
- (٤) تِلَادِي: أي أموالِي القديمة. الشُّكَّة: السلاح. وما ضَمَّتْ لَدَيَّ الْأَنَامِلُ: أي كل ما يملك.
- (٥) حِبَاؤُكَ عَطَاؤُكَ أَوْ هِبَتُكَ. العيس العتاق: الإبل الكريمة. هِجَانُ الْمَهَا: أي بُضْئُهَا. تُحْدِي: تساق. الرحائل: مفردا رِحَالَة، وهي كالسرج للفرس.
- (٦) الأواسي: الدعائم.

- فَلَا تَبْعَدَنَّ، إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَوْعِدٌ
 وَكُلُّ امْرِيٍّ، يَوْمًا، بِهِ الْحَالُ زَائِلٌ^(١)
 فَمَا كَانَ بَيْنَ الْخَيْرِ لَوْ جَاءَ سَالِمًا
 أَبُو حُجْرٍ، إِلَّا لَيَالٍ قَلَائِلُ^(٢)
 فَإِنْ تَخَيَّ لَا أُمْلَلُ حَيَاتِي، وَإِنْ تَمَتْ
 فَمَا فِي حَيَاتِي، بَعْدَ مَوْتِكَ، طَائِلُ
 فَابْ مُصَلَّوهُ بَعَيْنِ جَلِيَّةٍ
 وَغُودِرَ، بِالْجَوْلَانِ، حَزْمٌ وَنَائِلُ^(٣)
 سَقَى الْغَيْثُ قَبْرًا بَيْنَ بُصْرَى وَجَاسِمٍ
 بَغَيْثٍ، مِنَ الْوَسْمِيِّ، قَطْرٌ وَوَابِلُ^(٤)
 وَلَا زَالَ رِيحَانٌ وَمِسْكٌ وَعَنْبَرٌ
 عَلَى مُنْتَهَاهُ، دِيْمَةٌ ثُمَّ هَاطِلُ^(٥)
 وَيُنْبِتُ حَوْذَانًا وَعَوْفًا مُنَوَّرًا
 سَأْتَبِعُهُ مِنْ خَيْرِ مَا قَالَ قَائِلُ^(٦)

(١) المنيّة: الموت. والحال: هنا بمعنى الموت.
 (٢) أبو حُجْرٍ: كُثْبَةُ النعمان بن الحارث. والمعنى، أنه لولا موته لكان الخير يَجِيءُ منه دائماً إلينا.
 (٣) المعنى، أن الخبر اليقين بموته قد جاء به المصلّون وهم أهل الدين منهم.
 (٤) الغيث: المطر. بُصْرَى وَجَاسِمٍ: إسماء موضعين بالشام. الوسميّ: أول المطر.
 (٥) مُنْتَهَاهُ: كناية عن قبره. الديمة: المطر الساكن بلا برق ولا رعد. الهاطل: المطر المنهمر المتتابع.
 (٦) الحوذان والعوف: هما من النباتات الطيبة الرائحة. من خير ما قال قائل: أي أحسن الذكر.

بكى حارثَ الجولانِ من فَقْدِ رَبِّه
 وَحورانُ منه مُوحِشٌ مُتَضَائِلٌ^(١)
 فُعُوداً لَهُ غَسَّانٌ يَرْجُونَ أَوْبَهُ
 وَتُرُكٌ، وَرَهْطُ الْأَعْجَمِينَ وَكَابِلٌ^(٢)



أَهَاجَكَ مِنْ أَسْمَاءَ

[من الطويل]

يقول في غزو عمرو بن الحارث الأصغر لبني مرة بن
 عوف:

أَهَاجَكَ، مِنْ أَسْمَاءَ، رَسْمُ الْمَنَازِلِ
 بِرَوْضَةٍ نُعْمِيٍّ، فَذَاتِ الْأَجَاوِلِ^(٣)
 أَرَبَّتْ بِهَا الْأَرْوَاحُ، حَتَّى كَأَنَّمَا
 تَهَادَيْنَ، أَعْلَى تُرْبِهَا، بِالْمَنَاخِلِ^(٤)

(١) الجولان وحوران: موضعان معروفان في بلاد الشام. موحش: أي ذو
 وحشة. متضائل: متضاغر.
 (٢) غسان: أي ماء بالشام نزل به جد الغسانيين بعد مجيئهم من بلاد اليمن.
 والمعنى العام للبيت، أن جميع الأمم من عرب وعجم وترك كانوا ينتظرون
 خيره.

(٣) روضة نعمي: اسم موضع. ذات الأجاويل: اسم موضع أيضاً.
 (٤) أربت: دامت. الأرواح: بمعنى الرياح. تهادين: تمايلن. أعلى تربها: أي
 التراب الذي تجول به الرياح على وجه الأرض من الأسفل إلى الأعلى.
 المناخل: ما يُنخل به ويُصَفَّى.